



## + آباؤنا القديسون

### الشهيدة بربرة

من الأعياد الأكثر شعبية لدى المؤمنين، لما يرافقه من احتفالات وتقاليد، عيد القديسة العظيمة في الشهيديات بربرة في الرابع من كانون الأول. كل ربة منزل تحرص أن صنع القطايف و«العومات» المغموسة بالقطر رمزاً لاستشهاد بربرة وغمسها بدم الشهادة الذي سُفك منها حباً بالرب يسوع، وزرع القمح في الأوعية يوم العيد لتنت قبل عيد الميلاد وتوضع قرب شجرة الميلاد رمزاً لزرع بذرة الإيمان في القلوب، هذا الإيمان الذي زرعه بربرة في قلبه وحصدته وفيراً في ملكوت المسيح.

لا نعرف بالتدقيق زمن استشهاد القديسة بربرة أو مكان استشهادها. ويرجح أن تكون استشهدت بين العامين ٢٣٥ أو ٣١٠ في أحد بلاد الشرق. وتقليدنا المحلي يقول أنها كانت من مدينة بعلبك.

تتفق المصادر على أن والدها ديوسقورس كان وثنياً متشدداً وصاحب غنى ومركز مرموق. ولكي يُبعد ابنته الجميلة بربرة عن عيون الرجال كي لا يختطفها أحدهم، أقفل عليها في برج كبير بناه لها في قصره، كما دفع إليها بعض الأصنام كي تعبدها. فترة الوحدة هذه كانت مناسبة لها للتأمل في الخلق والطبيعة فأدركت ضلال عبادة الوثن حتى أنها حطمت الأصنام التي وضعها لها والدها لتسجد لها. وأرسل الله من يبشرها بالمسيح وهي في البرج، فأمنت به ونذرت البتولية لكي لا تلتهي عن العريس السماوي، لذلك ولم يستطع والدها إقناعها بالزواج. وكانت تتألم لعدم إحساس والدها بالحقيقة وعماه بسبب سجوده للأصنام، وتصلي طالبة العون الإلهي.

قرر والدها بناء حمام خارج البرج، وأمر أن تفتح فيه نافذتان. إلا أن بربرة طلبت من البنائين أثناء غيابه فتح نافذة ثالثة. ولما سأها والدها عن سبب وجود النوافذ الثلاث أجابته: «إن النوافذ الثلاث تضيء كل إنسان آتٍ إلى العالم». قالت هذا ورسمت إشارة الصليب مع الأصابع الثلاثة قائلة: «الآب والإبن والروح القدس. بهذا النور تستنير الخليقة بأسرها عقلياً». غضب والدها وشهر سيفه لقتل ابنته إلا أنها استطاعت الهرب إلى جبل قريب. هناك سجدت وصلت إلى الله طالبة العون. وكما حصل مع الشهيدة تقلا من قبل، انفتحت صخرة كبيرة في الجبل ودخلت بربرة في الشق واحتفت عن أنظار أبيها.



## + آباؤنا القديسون

ظل والدها يبحث عنها إلى أن وجدها، فضربها بدون شفقة وجرحها بشعرها إلى بيته حيث أقفل عليها واضعاً الحراس على بابها. ثم ذهب إلى الحاكم وأطلعته على أمر ابنته طالباً منه تعذيبها. أُحضرت بربرة أمام الحاكم، ولما رآها اندهش بجمالها وأشفق عليها وحاول تملقها إلا أنها رفضت التحلّي عن يسوع. هدها بالقتل فلم ينجح، بل قالت له: «أنا أقدم ذبيحة التسبيح لإلهي الذي صنع السماء والأرض والخليقة كلها. أما الآلهة التي تعبدتها فهي من ذهب وفضة صنع أيدي الناس وشياطين الأمم». غضب الحاكم وأمر أن تضرب وأن تُحَفَّ جراحها بخرق من شعر لكي تزداد أوجاعها، ثم وضعها في السجن. في الليل ظهر لها السيد المسيح مشجعاً وواعداً إياها بأنه سوف يكون إلى جانبها دوماً، شفى جراحات جسدها. وشهدت حالها هذه امرأة اسمها إيلانا (يولياني)، فتشجعت هي أيضاً ومجدت الله وقررت مواجهة كل العذابات من أجل المسيح ومحبه.

أُحضرت بربرة مجدداً أمام الحاكم فتعجب الحاكم لشفاء جراحها. وأخذ يقنعها بأن من شفاها هي الآلهة الوثنية، أما هي فأجابته بأن الذي شفاها هو «المسيح ابن الله الحي الذي لا تستطيع أن تنظر إليه لأن عينيك مثقلة بظلام الإلحاد». عندها أصدر الحاكم أمره بأن تُطعن برماح حديدية وتُحرق أعضاؤها بمشاعل ويُضرب رأسها بالمطرقة. وكانت يولياني شاهدة على هذه العذابات فراحه تبكي. رآها الحاكم وسأل عنها، ولما قيل له أنها أيضاً مسيحية أمر بأن تُعلق إلى جانب بربلوة وأن يُمزق جلدها وتُحرق بالمشاعل أيضاً. أما يولياني فصَلَّت إلى الرب أن يمنحها القوة للصمود إلى المنتهى. وأثناء تعذيبهما كانت بربرة تصلي «يا رب لا تطرحنا من قدام وجهك وروحك القدوس لا تترعه منا» (مزمور ١١:٥٠). وكان الرب حاضراً دائماً لشفاء جراحاتهما.

أُحضرت برباره مجدداً إلى الحاكم فأيقن أنه لن يستطيع تغيير رأيها فأمر بقطع رأسها مع يولياني. أبي والدها إلا أن يقطع هو رأسها بنفسه فأخذها مع يولياني برفقة جلالد آخر إلى جبل قريب، وفي الطريق كانت بربرة ويولياني كأنهما ذاهبتين إلى عرسهما. صلتا إلى الرب وسمعتا صوتاً سماوياً يشجعهما، ثم أحننا رأسيهما وقبلتا الاستشهاد.

في طريق عودته إلى منزله، لقي والد بربرة عقابه إذ نزلت صاعقة من السماء وأحرقته، كما سقطت صاعقة أخرى على الحاكم. وحضر عدد من المؤمنين وأخذوا جسدَي الشهيدين ودفنوهما بإكرام ومهابة قرب بعلبك.



## + آباؤنا القديسون

يذكر البطريرك مكاريوس الزعيم (الإنطاكي القرن السابع عشر) أن جسد الشهيدة بربرة نُقل إلى القسطنطينية ثم إلى كييف في روسيا، عندما أهدى الإمبراطور البيزنطي باسيلوس (١٠٢٥-٩٧٦) رفات الشهيدة بربرة إلى شقيقته في مناسبة زواجها من الأمير فلاديمير الذي نصرَّ روسيا. ويقول إنه شاهد الرفات هناك وترك بها وإن جسدُها باقٍ على حاله. فبشفاعة القديستين بربرة ويولياني اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.